هل فقدت أمريكا هيبتها أم فقط غيرت استراتيجيتها؟
الكاتب : فيصل القاسم
التاريخ : 9 أكتوبر 2015 م
المشاهدات : 3975

يرى البعض، وخاصة، منذ اندلاع الثورة السورية، أن أمريكا فقدت هيبتها. لكن السخيف في هذا الرأي، أن أصحابه ربطوا هيبة أمريكا وجبروتها كله بترددها في التدخل في الأزمة السورية. وبناء على ذلك راحوا يتحدثون عن أن العم سام قد فقد أسنانه، خاصة بعد التدخل الروسي العسكري السافر في سوريا.

كم هم مغفلون وساذجون أولئك الذين يصفون سياسة الرئيس الأمريكي باراك أوباما تجاه سوريا خاصة والشرق الأوسط عامة بأنها "مرتبكة" و"باردة" و"متخبطة" و"غير مبالية" و"مترددة". ألا يعلمون أن "اللامبالاة" في السياسة سياسة، وأن التردد ليس تردداً، بل هو مقصود بذاته؟ مشكلة الكثيرين أنهم لا يتابعون التصريحات الأمريكية، ولا البرامج الرئاسية التي يطرحها هذا الرئيس أو ذاك عندما يصل إلى البيت الأبيض.

الأمريكيون في الغالب صريحون، بوقاحة، عندما يتعلق الأمر باستراتيجياتهم وسياساتهم الخارجية، فهم لا يراوغون كثيراً، بل يطرحون مشروعهم للإعلام «على بلاطة»، لكن المشكلة في العرب الذين لا يقرأون إلا بعد أن يقع الفأس في الرأس.

لقد قالتها إدارة أوباما مرات ومرات ـ ليس في الفترة الرئاسية الأخيرة ـ بل في بداية الفترة الرئاسية الأولى، عندما أعلن أوباما عن خط سياسي مختلف تماماً عن خط سلفه جورج بوش الابن. لقد جاء أوباما أصلاً ببرنامج يناقض فيه سياسات بوش، الذي كلف أمريكا الكثير الكثير عسكرياً واقتصادياً وسياسياً. أعلنها أوباما صراحة أنه يريد أن يلعب بهدوء بعيداً عن الغوغائية السياسية التي ميزت عهد سلفه.

بعبارة أخرى، لقد ضرب أوباما عرض الحائط بصورة «الكاوبوي» السياسي التي سادت الإدارات الأمريكية السابقة. فلم يعد الرئيس الأمريكي يتحسس مسدسه، كلما لاحت أمامه ذبابة، بل بدأ يفكر بطريقة أكثر خبثاً وهدوءاً في متابعة الأهداف والاستراتيجيات وتحقيقها.

قد يقول البعض، وربما يكونون على حق، إن عقلية «الكاوبوي» جلبت للأمريكيين الكثير من المصائب والكره، وخاصة في مغامراتهم الخارجية الاخيرة في العراق وأفغانستان، وباتوا يخشون من سياسة «التعنتر» الكارثية. وهذا صحيح، لكنهم قادرون أيضاً على تحقيق المطلوب بعيداً عن التصرفات «البوشية» الهوجاء. لقد أعلن أوباما على رؤوس الأشهاد منذ الأيام الأولى لولايته بأنه سيعتمد من الآن فصاعداً على «الحروب الاستخباراتية»، بدل الحروب العسكرية، فهي أكثر نجاعة وأقل تكلفة بكثير. وقد لاحظنا ذلك في الأزمة السورية، فقد كان الأمريكيون يعطون الانطباع منذ بداية الثورة بأنهم غير مبالين أو مرتبكون أو متخبطون حيال الوضع السوري، مع العلم أن وكالة الاستخبارات الأمريكية كانت تدير الكثير من العمليات داخل الأراضي السورية من مواقعها على الحدود التركية.

في الوقت الذي كانت فيه أمريكا تراقب كيف تمزق القوى المختلفة نفسها على الأرض السورية تماماً كما ترغب أمريكا، كنا نسمع الكثير الكثير في وسائل الإعلام عن ابتعاد الأمريكيين عن الأزمة السورية. لقد اعتمد الأمريكيون منذ مجيء أوباما إلى سدة الرئاسة على مبدأ «القيادة من الخلف» تاركين السائقين في المقاعد الأمامية يسوقون حسب التوجيهات والإرشادات والتعليمات الأمريكية، دون ضجة أو جلبة.

لم يعد الأمريكيون مستعدين للتورط مباشرة في أي نزاع، وهذا ما أشار إليه ثعلب الدبلوماسية الأمريكية الشهير هنري

كيسنجر في أكثر من مقال له في الصحف الأمريكية على إدارة أوباما. لا بل راح كيسنجر في بعض مقالاته يدعو الإدارة الأمريكية إلى احترام معاهدة «وستفاليا» المبرمة عام 1648التي تنص على احترام سيادة الدول. وهو طبعاً حق يراد به باطل، فبحجة احترام سيادة الدول كانت الدبلوماسية الكيسنجرية الجديدة تحقق كل ما تريده بعيداً عن التدخل السافر في شؤون الآخرين، كما كانت تفعل في الماضي. ومن اللافت أنه حتى الغارات الجوية الأمريكية على مناطق تنظيم «القاعدة» في اليمن وباكستان والصومال كانت تتم عن طريق طائرات بدون طيار، تجنباً لإزهاق أرواح الطيارين الأمريكيين.

هل خسر الأمريكيون جندياً واحداً في ليبيا؟ مخطئ من يعتقد أن أمريكا كانت ضعيفة عندما فاوضت إيران. لا أبداً، فالقوة الأمريكية يمكن أن تدمر العالم مائة مرة. لكن السياسة الأمريكية الأوبامية جاءت أيضاً لإعادة التوازن للاقتصاد الأمريكي. وبالتالي، فالإدارة الأمريكية الحالية لا تريد الغوص في مغامرات جديدة مكلفة طالما أنها قادرة على تحقيق المطلوب بـ"القوة الناعمة"، لهذا رأت أن التفاوض مع إيران وعصا العقوبات أجدى لها من الحروب.

إن الذين يصفون سياسة إدارة أوباما الحالية تجاه الشرق الأوسط خاصة «بالغباء لا يعرفون من السياسة شيئاً، ولا يعرفون ثعالبها، فالسياسة الأمريكية، التي يصفها البعض بـ"الغبية" جردت سوريا من السلاح الكيماوي الاستراتيجي ما لم تستطع تحقيقه كل حروب المنطقة، وهي ساعية لما بعد الكيماوي. والأهم من ذلك، أنها كبحت مشروع إيران النووي، دون أن تخسر دولاراً أو جندياً واحداً. قارنوا المبالغ التي أنفقتها أمريكا على مغامراتها في العراق وأفغانستان، وهي ترليونات الدولارات، مع ما أنفقته على الوضعين السوري والإيراني؟!

لقد حققت لنفسها ولإسرائيل كل ما تريدان فقط من خلال العمل بالمبدأ النابليوني الشهير «إذا رأيت عدوك يدمر نفسه، فلا تقاطعه». لقد دفعت أمريكا المليارات لإعادة العراق إلى العصر الحجري، كما توعد وزير الدفاع وقتها دونالد رامسفيلد، لكنها حصلت في سورية على كل ما حصلت عليه في العراق «ببلاش»، فقط بدماء وأشلاء السوريين وثرواتهم وثروات الآخرين. فإذا كانت سياسة «التخبط والغباء واللامبالاة» الأمريكية هذه قد حققت كل هذه النتائج، فكيف لو كانت سياسة ذكاء ودهاء مثلاً؟ لقد أنجزت إدارة أوباما لأمريكا ما لم تنجزه على مدى عشرين سنة فائتة، في ما يخص ملفات الشرق الأوسط في سوريا وإيران، وعلى صعيد ضمان أمن إسرائيل. كيف؟ فقط بتعب اللسان.. وبرود الأعصاب.. والتردد.. واللامبالاة المدروسة؟

لقد أكد المعلق الأمريكي الشهير توماس فريدمان في صحيفة النيو يورك تايمز بعد التدخل الروسي في سوريا قائلاً: «برافو أوباما. ابق بعيداً. ودعهم يتورطون». وقد قال من قبله مدير موظفي البيت الأبيض إن الوضع في سوريا مثالي بالنسبة لنا، حيث يحرق «الأشرار بعضهم بعضاً».

صدق من قال إن أمريكا تبدو وكأنها تنحني، لكنها تنحني لتنتصر.

القدس العربي

المصادر: